الأدب التفاعلي والتلقي النقدي: السمات والدلالات.

د: مصطفى شميعة

إن الأدب التفاعلي هو نظام من أنظمة الفن القولي القائم على نسق البنية والدلالة، وهو بذلك يخضع مثل باقي الأنواع الأدبية إلى القراءة والتمحيص قصد استجلاء نسقه ونظام اشتغاله، وليس خافيا عن جميع المهتمين بأنماط الأدب التفاعلي أن الأخير هو شكل تواصلي جاء في سياق الثورة الإعلامية الالكترونية التي بات الإنسان الآن يعيش في سياقها رغما عنه، فرغم الدعاوى التي تكتنفها نزعات الاحتراس من ولوج عالم الانترنيت بسبب ما يُعتبر ميوعة عند البعض أو كونه نافذة مشرّعة لكافة التسريبات، فإن الأدب التفاعلي قد وجد لنفسه موطئ قدم بين الفاعلين والمهتمين والرواد، وبين عموم الكتّاب على اختلاف درجات عطاءهم، وهذا لسبب وجيه سنعود إليه بالتفصيل من حيث كون الحديث عن رواد الأدب التفاعلي هو في حد ذاته حديث عن الأدب التفاعلي نفسه، أي الأدب الذي بات يفرض نفسه بشكل غير مسبوق في الآداب العربية. ولنا أن نتتبع ما ينشر يوميا على صفحات الشابكة لندرك حجم هذا الأدب التفاعلي الذي يتقاطر على صفحات الشابكة بشكل أني وفوري متناسل لا توقفه يد ناقد ولا تحجبه عين متتبع.

إن المتتبع للأدب الالكتروني يمكنه أن يسجل فكرة رئيسية مفادها أننا أمام أدب فعلي، لكن ليس دائما حقيقي. هناك فرق بين الأدب الفعلي والأدب الحقيقي فالأدب لا يكون واحدا ولا يمكن أن يكون في نفس الدرجات الإبداعية أو المستويات الإنتاجية بحكم صدوره عن الإنسان الذي تختلف عنده القدرات التعبيرية لاختلاف طاقاته الإبداعية، لهذا السبب نكون إزاء آداب وليس أدب، وبل نكون إزاء نوع من القول يحاول جاهدا أن يكون في سياق التعبير الجمالي الإنساني.

إن قولنا نحن أمام أدب تفاعلي فعلي لا حقيقي يفترض وجود أدب بالفعل وآخر بالحقيقة، لكن كيف يكون الأدب حقيقيا؟ هل عندما تتحقق أدبيته؟ هل شروط تحقق الأدبية هي نفسها شروط تحقق الأدبية المتداولة في أعراف الكتابات النقدية؟ هل يكفي أن تكتب نصا أدبيا تفاعليا ليرقى عملك إلى مستوى الأدبية سواء الورقية أم الالكترونية؟ إن هذه الأسئلة هي محور تدخلنا في سياق هذا الملتقى

الذي ننطلق فيه من ضرورة الحسم في مجموعة من الثوابت والمفاهيم الضرورية، الحسم الذي يعطينا فكرة عن حقيقة الأدب التفاعلي كما نقرأه على الكثير من شاشات العرض الالكتروني.

من هذه الثوابت القول وكما أشرنا إلى ذلك بأن الأدب التفاعلي له وجود فعلي لا حقيقي، نعم له وجود فعلي على مستوى النشر والتعميم، وعلى مستوى القابلية الكونية للانتشار في ربوع الشبكة الإلكترونية، فمعروف عن النت قابليته لاستيعاب كل النصوص، وكل التدخلات كيفما كانت نوعيتها و إجناسيتها، لأنه فضاء رحب لا يضيق صدره بالمنشورات، سواء كانت منشورات أدبية حقيقية أم غير حقيقية، كما أن هذا الأدب فعلي، لأنه يتنزّل فعليا منزلة الأدب المكتوب من حيث الشكل الطباعي، والتوزيعي فيأخذ الشكل أو القالب الذي يستوعبه: نظام الشطرين بالنسبة للشعر العمودي أو نظام السطر بالنسبة لشعر التفعيلة، أو مقال أو قصة و و...، إنه "فعلي" لأنه يستوعب المسطرة الطباعية فيأخذ مكانه ضمن الأحيزة التعبيرية الأخرى دون رقابة نقدية تحول بينه وبين عملية نشره. فقد استفاد من المعطيات التكنولوجية المتمثلة فيما توفره على الوسائط المتعددة من معطيات صورية وصوتية واستطاعت بهذا الوسائط أن يخلط أوراق الأدب، بمعايير القبول القيمي الحقيقي الذي يخضع لها الأدب الورقي والذي تنقله من الحالة الفعلية إلى الحالة الحقيقية.

- **الأدب التفاعلي ونظرية القراءة**

إن الأدب الحقيقي هو ما توافرت فيه شروط الأدبية الحقيقية، والتي وإن اختلفت معاييرها بين مدرسة نقدية أو أخرى إلا أنها تبقى معايير فنية وذوقية وعلمية تساعد على تمييز رديء الأدب عن جيّده، غير أن الأدب التفاعليّ المنشور على شاشات النت ومن زاوية البحث في مستوى قراءته لا يتوسل إلى أي تدخلات نقدية تجيز له النشر أو تسمح له بالظهور، فالكل مسموح له بالنشر والتعبير عن شعوره بما يعتبره المبدع أدبا، لا كما تحدد آليات النقد الأدبي ومعاييره. الأدب التفاعلي من هذه الناحية يتميز بخاصية التفرد والانفلات من عقال الضبط والتنميط ، لا يعترف بمعايير الجودة الفنية عند النشر، ولا يطمح أن يكون ضمن سياق أي اختيارات نقدية معيارية، ولا تحت وصاية أي مدرسة، إنه أدب تفاعلي حر التداعي، يذاع على شاشات الحواسيب وعلى صفحات التواصل الاجتماعي بحرية كبيرة، لذلك يصبح عرضة للقراءات المختلفة والمتعددة المستويات، وعندما نقول متعددة المستويات فإننا نقصد بذلك مستويات القراء الذين يتوصلون بتنزيلات الأدباء الافتراضيين،

فهم مختلقون باختلاف مستوياتهم التقبلية فنجد منهم: القارئ الخبير المتوجس، القارئ المسائل، ومنهم الق ارئ العادي المعجب الذي يبدي إعجابه "**بلايك**" خالية من التعليق، ومنهم القارئ المنبهر والمعجب بالتعليق على المنشور بنص مواز، لا يخلو من نزعة ذاتية تمجيدية لصاحب النص وليس للنص في حد ذاته . ولنا أن نفصل في القول ونقول بتركيز شديد، إن الأدب التفاعلي يحرك مستويات عدة من التفاعلات مع النص المنشور، فمنها التفاعل المبني على إبداء الملاحظة النقدية وهو قليل. ومنها التفاعل المبني على التعبير عن الإعجاب وهو متوسط لأن القارئ هنا لا يعلل الإعجاب، ولكن يشير إليه بعلامة "**اللايك**"، ومنه التفاعل المقرون بتعليق عبارة عن نص يسجل فيه صاحبه بصاحب النص، أكثر من إعجابه بالنص ذاته، وهكذا نكون بإزاء أدب تفاعلي فعلي لا حقيقي: فعلي من حيث فعل الوجود والتفاعل مع ردود الأفعال المبثوثة على حضور نص لغوي عالق على جدار صديق، وهو نص غير حقيقي لأن شروط الأدبية تنتفي هنا، فلا نقرأ تعليقا نقديا معللا بشروط القبول أو الرفض، سيما وأن الناشر إنما قصد من وراء نشر نصه التباهي فقط ومحاولة الاصطفاف عنوة في صفوف الكتّاب والأدباء ولنا من أجل ذلك نصوصا عديدة منها مايلي:

نص :**1**

لن أشكو فائضا من الوجع
لأن بي وجعا حقق اكتفاءه مذ سكت الحرف عن النزيف..

كانت بوصلتي تتجه نحو رأسك الفضي..وهاهي اليوم تضيع بين اتجاهات ثكلى..

متى ينزف القلم؟ويلمع لجيني المنطفئلنحاول تتبع التعليقات التي صاحبت النص لتبيان درجات او مستويات التفاعل:

- كلمات قوية معبرة! –
- جميل جدا
- جميل

نص 2:

مستويات التفاعل مع النص نسجها كما وردت:

- ميل.....لك نور المساء الجميل..

تستحقين أن تتربعي بكل الاماكن و ساقول لكل الاصدقاء و النقاد حرف شامة هو الحرف الوحيد الذي يتواجد بمكانين بذات اللحظة ..بالصفحة و بقلب القارء..

13 أغسطس، 2014، الساعة 11:23 مساءً · إعجاب3 ·

- مرورك الدائم من هنا.. وقراءتك لحروفي هي من تجعلني أتربع في المكانين.. ولكل قارئ رأي.. ولكني شئت أن تكون قارئي المميز Zaki Idris

13 أغسطس، 2014، الساعة 11:26 مساءً · إعجاب2 ·

محمود الملك الضليل

للقلب مساحة تشتعل بوهج الحروف و توقظ النائم فيها حشرجات

النبض و كليات الاتحاد ... و لكن في الشهود يتحد النبض و المساحة والنائم فلا شيئ في الصدر الا هو .... هو القلب و النبض و المساحة .... و له تأتلق المرايا و تقطر الأمشاط بزيت الهوى المعصور من دم الذكرى ..... لك الألق و لحرفك السامق تنتبه الرؤى و تشتعل الأمشاط .... مودتي

13 أغسطس، 2014، الساعة 11:30 مساءً · إعجاب3 ·

•

ش/د

ولحروفك العابرة على بساط الرّيح تحيّة وارفة..عبق السّدرة والملّية والحلفاء يعانق فضائي المتلوّن بالحب والرّيحان..هنا دوما تسكن حروفك محمود الملك الضليل

13 أغسطس، 2014، الساعة 11:37 مساءً · إعجاب2 ·

قلم يكتب

كلمات لم اعهدها منك أستاذة شامة درويش أم تغير سر البوح عندك بورك الحرف وصاحبه

14 أغسطس، 2014، الساعة 06:34 صباحاً · إعجاب2 ·

•

جمال الدين

أسعدك الله به سيّدتي...

14 أغسطس، 2014، الساعة 08:31 صباحاً · إعجاب1 ·

•

قلم ينزف وردا

كلّما قلّبت مرآتي رأيت وجه حبيبتي ..... وكلّما رأيت حبيبتي تذكّرت صديقتي المرآة ..... شكرا للمرايا التي تمنحنا فضاء لا يستطيع الواقع انجابه تقبّلي مروري

14 أغسطس، 2014، الساعة 03:29 مساءً · إعجاب3 ·

•

- **ش/د**

صديقي محمد فعلا المرايا عاكسة لوجوهنا ولدواخلنا ،أرجو أن تكون مراياك ذاتك الأخرى ..تحياتي لك ولحروفك البهية

14 أغسطس، 2014، الساعة 04:33 مساءً · إعجاب1 ·

ش/ د

ضياء الحرف كلما تكلمنا تعمقنا.. وربما هي حروف العمق صدحت..تحياتي

صديقي

14 أغسطس، 2014، الساعة 04:34 مساءً · إعجاب1 ·

ش/ د

وأسعدك الله أستاذ جمال الدين بن خليفة

14 أغسطس، 2014، الساعة 04:34 مساءً · إعجاب

بندر

متألقة كما عهدناك ، و قلمك يدعوا القراء لحرفه...

17 أغسطس، 2014، الساعة 09:07 مساءً · إعجاب1 ·

ش/ د

شكرا لهذا المرور الفواح صديقي بندر

17 أغسطس، 2014، الساعة 09:09 مساءً · إعجاب

لقد تعمدنا نقل النص كما هو مبثوث على صفحة صاحبه، وكذا التعليقات التي واكبته، وذلك من أجل قراءة أنواع التفاعلات التي واكبته من حيث كونها تؤكد ما قلناه بخصوص مستويات التفاعل مع النص. فالنص الأول واكبته ثلاث ردود بسيطة هي: جميل وجميل جدا من دون أن يواكب هذا

الإعجاب تعليلا نقديا من شأنه أن يؤكد أو ينفي أدبية النص، وهذا في رأينا راجع إلى عدة أسباب في مقدمتها النص ذاته، فالنص عندما يكون مبهما أوغارقا في عمومياته، لا يدفع القارئ إلى تعليل إعجابه به وهذا واضح في هذا النص الأول حيث يقول صاحبه على سبيل المثال:" .. ؟

في ثنايا قلبي الموجوع به يرقد غير مبال .... ومن عجب أن يسأل عن حالي وهو كلّ حالي فتخرج من وجهي ملامحه كما يخرج قلبي من عينيه وكأني اخترت بلا وعي أن أكون مرآته ومشط ذكرياته فقط لأكون قربه,,

ش/د (رسالة اعتذار

كانت بوصلتي تتجه نحو رأسك الفضي..وهاهي اليوم تضيع بين اتجاهات ثكلى" ..

هذاكلام

غارق في الغموض، من حيث عدم قدرته على التأثير في أفق انتظاراتنا، فلا شك أن توصيف الرأس بالفضة يضفي على النص مسحة من الإبهام الغير مرغوب فيه، فليس هنا من روابط فنية بين الكلمات ولا الصور، وليس هناك أيضا علاقة بين الرأس والفضة، ومن ثمة يدرك المتلقي بحدسه القرائي أن النص يضعه في إشكالية مواجهته بالنقد، فيفضل عدم التعليق، فلا يمكن أن ينتزع منه تعليلا بالإعجاب، لهذا نرى خلوه من التعليقات المصاحبة..

النص 2 :

سنحاول هنا استطلاع معظم التفاعلات الموازية، والتي يبدو أنها تختلف عن سابقاتها من حيث الكم والنوع، فمن حيث الكم نلاحظ أن هذه التعليقات فاقت من حيث العدد التعليقات السابقة، ومن حيث النوع نرى فعلا أنها تفاعلات مع النص بشكل أنتج معه نصوصا موازية تشير إلى وجود علامات دالة على حصول اختلاف بيّن بين عموم المتلقين، وذلك بحسب مستويات تلقيهم للنص و وأيضا بحسب درجات بولهم النفسي له. نستشف ذلك من خلال ما يلي:

1 من حيث طبيعة اللغة الموظفة في التعاليق، فهي لغة شعرية تحكم على الشعر بالشعر، ولا ترقى إلى استصدار الحكم القيمي المطلوب، إذ يبدو جليا أنها لغة وجدانية منتقاة بدقة، تعكس شخصية صاحبها ومستواه التقبلي، فالمتلقي هنا وجداني، يرى ذاته الشاعرة من خلال الموضوع الشعري التفاعلي، فيسقط عليها ما يستشعره هو لا ما يستسيغه جهازه التقبلي، وكمثال على ذلك هذا النص الموازي:

كلّما قلّبت مرآتي رأيت وجه حبيبتي ..... وكلّما رأيت حبيبتي تذكّرت

صديقتي المرآة ..... شكرا للمرايا التي تمنحنا فضاء لا يستطيع الواقع انجابه تقبّلي مروري

إذن نلاحظ من خلال هذا النموذج التقاطع الحاصل بين مشاعر النص ومشاعر قارئه. فالقارئ يجد نفسه بين سطور ما يقرأه لأنه يقول " كلما رأيت حبيبتي تذكرت صديقتي المرآة " وهذا في الحقيقة يجعلنا نتساءل: ما الإضافة النوعية التي يمكن أن يضيفها تعليق كالذي عرضنا له؟ أي نوع من التفاعل الحاصل بين القارئ والنص؟ هل يمكن أن يضيف هذا التعليق شيئا لتقويم التجربة الشعرية عند صاحب النص التفاعلي؟

إن هذه الأسئلة تبقى ذات أهمية بالنظر إلى كونها تعكس نوعا من التلقي الذي تنصهر فيه المشاعر انصهارا واضحا، لكن يبدو أنه يفتقر إلى التعليلية الموضوعية الذي تقدّم الأحكام المبنية على الآراء الرصينة والهادفة.

إن هذه التعليلية المبنية علميا على النقدية المعيارية تنتفي كلية من بعض التعاليق الغارقة في الذاتية المفرطة، فقد تنزلق الاستجابات إلى منحى لا نقدي بحيث تغدو في منحدر إشكالي يصعب علينا فك الارتباط الشاذ بين النص وقارئه ولنا في ذلك المثال التالي: "

للقلب مساحة تشتعل بوهج الحروف و توقظ النائم فيها حشرجات

النبض و كليات الاتحاد ... و لكن في الشهود يتحد النبض و المساحة والنائم فلا شيئ في الصدر الا هو .... هو القلب و النبض و المساحة .... و له تأتلق المرايا و تقطر الأمشاط بزيت الهوى المعصور من دم الذكرى ..... لك الألق و لحرفك السامق تنتبه الرؤى و تشتعل الأمشاط .... مودتي

فهذا النص يؤسس لعلاقة غير طبيعية بين القارئ والمقروء، علاقة قوامها التباين الواضح بين ما يريد النص أن يقوله بين ما يريد القارئ أن يعبر عنه، ولنا أن نتأمل في هذا النص الموازي لنحاول أن نعرف ماذا يريد القارئ أن يقوله، لا احد يستطيع أن يفك شفرة ما يريد يقوله فما معنى أن يقول: حشرجات النبض وكليات الاتحاد...ولكن في الشهود يتحد النبض والمساحة، ما معنى هذا الكلام؟

إن التفاعل غير حاصل، وبسبب ذلك انتصب التقابل الحاد بين النص ومتقبله، تقابل أفضى بنا إلى استنتاج خلاصة مختصرة مفادها أن الأدب التفاعلي هو أدب ذاتي لا يخضع لقوانين وشروط الإنتاج الأدبي الرصين، من جهة أخرى إذا كان هذا الأدب لا يستوفي شروط الإنتاجية الأدبية فإنه من الضروري أن تستتبعه آليات من القراءة المادون المستوى المطلوب بحكم علاقات التلازم بين القارئ والمقروء.

من هنا نستطيع أن نستخلص أن عالم الأدب التفاعلي الموسوم بالافتراضي، هو فعل عمل يفترض من جهة صاحبه انه عمل جدير بالنشر، لكن المتأمل للنصوص المثبتة على جداريات الكتّاب، يجد أنها تكرس فعلا لأدب لا يراعي أي قيمة نوعية وبالتالي تستصحبه موجات من ردود الفعل التي تعكس مستوياته.

السؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: مادام الأدب التفاعلي لا يرقى إلى مستوى الأدبية الحقة، فما هي الأسباب التي تقف وراء ذلك؟ ما طبيعة التواصل الخطاب التواصلي الالكتروني؟

تروم المداخلة التحليل العلمي لمضامين الخطاب التواصلي الالكتروني الحاصل بين الأفراد في العالم الافتراضي، وذلك من حيث رصد وتتبع الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية لما يُتداول على **صعيد مُعْلن:** الجدار الشخصي، أو على **صعيد سري:** غرف الدردشة.وغرف الاتصال المرئية سكايب / ميسنجر.

تقدم المداخلة استنتاجاً دقيقاً حول نوع العلاقات القائمة بين المتحاورين، ونوع المواضيع المتداولة، أسبابها والهدف منها، وذلك انطلاقاً من **عينة بحثية** يختارها الباحث ميدانياً عبر جردٍ لنماذج من التواصل الاجتماعي **بالفيس بوك**.

من جهة ثانية ستتناول المداخلة **الخصائص الخطابية واللغوية لفعل التواصل الافتراضي**، للوقوف على سمات هذا الخطاب وأهميته الثقافية والتواصية والجمالية والإبداعية، لهذا سيكون الباحث ملزماً بمقاربة هذه الخصائص اللغوية المُعبر بها في المواضيع المشتركة أو الفردية. كما سيتناول في سياق مقاربة **الخصائص النوعية للخطاب الالكتروني**، دراسة هذه اللغة في بعدها التداولي، متسائلا حول إمكانات هذه اللغة في الوصول الى الهدف من العملية التواصلية الافتراضية. والتي هي طبعا التعارف، وإقامة شبكة علائقية ذات مستويات اجتماعية أو عاطفية أو سياسية.

بنا على ما سبقا نقترح تقسيم المداخلة إلى قسمين اثنين:

1/ الخطاب الالكتروني المعلن:

المقصود به التواصل في سياق التخاطب الحي بين الأفراد والمجموعات ، فهذا النوع من الخطاب يتميز بالخصائص التالية:

1/ بسمته **التواصلية المحضة**، التي تسعى إلى إقامة الجسور والانفتاح على الخبرات الجماعية والفردية في إطار التعارف والاستفادة من التجارب.

2/ بطابعه **الثقافي**: إصدارات، ندوات، ملتقيات، أخبار الكُتاب، وحضورهم في المحافل الثقافية أو التجاري، وذلك بحسب مجموعات التواصل (نوع الأصدقاء ثقافتهم وميولهم)

3/ بطابعه **الدعائي الشخصي** الذي يراد منه نشر الأخبار الشخصية للغايات الإخبارية التالية: تغطية الأنشطة الشخصية الاجتماعية رحلات، سفريات، أو أسرية (ازدياد زواج ...) الإخبار عن أحداث شخصية (لقاءات بين أصدقاء....) الإخبار حول عضويات أو ترقيات أو أحداث شخصية في مكان الوظيفة..

4/ **بطابعه الإعلامي**: الذي يرمي إلى نشر الأخبار في حينها مع إمكانية التعليق عليها عن طريق المشاركة في صياغة الخبر ونشره بواسطة تقنية المشاركة ..

وتتميز هذه الأخبار بطابعها المحلي أو الإقليمي أو العالمي ..فالأفراد أو الجماعات هم الذين يصوغون الحدث ويعبرون عنه بطرقهم وأساليبهم ولغتهم الخاصة ، عبر المشاركة في كتابة التعاليق حول الخبر المراد نشره والذي قد يأخذ أشكالا مختلفة كالتالي:

- شكل **صورة** مصحوبة بتعليق وجيز
- شكل **رسالة** إخبارية تتضمن توصيفا لحادثة أو واقعة فجائية أو مرفوقة بتوثيق فوري **زمني:** (اليوم والساعة) و**مكاني:** مكان الحادث.. مدرسة تصريح مسؤول..

تتنوع ردود الأفعال بين متدخلين يعلقون إما بإبداء الإعجاب عبر صيغة (**أعجبني**) حيث يكتفون بهذه الصياغة دون التعبير عن الرأي الشخصي. أو بكتابة تعليق مختلف الشكل (كتابة عربية بأحرف لاتينية)

متفاوت الحجم (سطر، سطران، أسطر، لا تتعدى في الغالب الأحيان حجم الصفحة).

من هذا المنطلق يتساءل البحث عن قدرة هذه اللغة على خلق وضعيات تواصلية كاملة تتفق مع الهدف النفعي منها، وتساعد على بلورة مواقف انسانية مختلفة

إن قراءة سطحية أولية تكشف عن وجود خلل ما في نظام التواصل وبنيته، فعلاوة على كونه تواصلا افتراضيا (مع تحفظنا على هذا التوصيف) فإن أبعاده الواقعية تحضر وبقوة، إذ يمكن القول إن هذا التواصل يعكس واقعاً في الافتراض.

نحن إذن أمام نمط جديدة من التواصل، يعكس واقعا جديدا بالنسبة لثقافتها ووعينا ورؤيتها للعالم. فما هي الخصائص النوعية لخطاب التواصل الالكتروني، والتي تعكس أبداعيته وجماليته؟ ما هي آليات إنتاج هذا الخطاب والتي بموجبها يتم التفاعل بين المنخرطين؟ ماهي مصوغات التفاعل ؟ ماهي جسور الانتقال من الواقع الافتراضي الى الواقع العياني؟

دكتور شميعة مصطفى جامعة فاس المغرب